Tome, année No 929

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 23 — 4 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٣٧٠ — ٢٣ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

١١- الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

٤ — الجماعة الدينية :

الوجه الثانى لوظيفة الدين المزدوجة أنها وظيفة سلبية . فإذا كان الدستور المدون للجماعة الدينية يسهل تكافلها ويسمى لتحقيقه ويذود عن حماه إزاء المتشكك والثائر فإن طبيعة هذا التكافل فى الجماعة الدينية تفصلها روحيا واجتماعيا عن الجماعات الأخرى التى تعيش فى المجتمع الأكبر (الوطن أو العالم بأسره)

فلقد رأينا فى مقال سابق من هذا البحث أن السلوك الدينى ليس فرديا فحسب ، بل هو جماعى كما شرح ذلك علماء الاجتماع والأنثرولوجيا . وحتى لو اقتصر السلوك الدينى على الفرد واختياره الخاص فإن ذلك لن يحول بينه وبين أن يصبح جزءا من السلوك العام الذى يشوب حياة الجماعة الدينية التى تؤمن بنفس العقيدة التى يؤمن بها ذلك الفرد وتختبر نفس الاختبار الدينى الذى يختبره . بل الواقع أن هذا الاندماج أمر لا مفر منه مهما تعمد الفرد تفاديه (١)

فمناصر السلوك الدينى على نوعين — كما رأينا — روحية واجتماعية . حتى لو أنكر بعض الناس وظيفة الدين الاجتماعية وقصروها على الاختبار الروحانى (علاقة المرء بربه) فإن المشاركة فى الاختبار الروحانى والوجدانى تستوجب الاندماج فى السلوك الجماعى

فإذا أعجب أديبان أو أكثر بشاعر أو فنان أو فيلسوف وقرأوا له وحفظوا عنه فإنهم يؤلفون مدرسة فكرية تجمع بينهم فى صعيد روحى واحد ، وهم ولا ريب مدافعون عن هذه المدرسة الفكرية، مبشرون بمزاياها إذا حدث أن تصدى لها بعض الناس بالنقد والتمريض

والاختبار الدينى أقوى ألف مرة من الإعجاب بشعر أو فن أو فلسفة . ولعلنا نلمس هذه الحقيقة فى تصدى بعض المسلمين الذين — لأسباب لا يهمنا معرفتها هنا — لا يقيمون شعائر دينهم للدفاع عن الإسلام إذا تصدى له ناقد أو متحامل

وكم من مرة شهدت جامعات أمريكا وبريطانيا ومحافلها الأدبية محاولة الطلبة وغير الطلبة من المسلمين دفاعا عن الإسلام وتعاليمه مع أن المدافعين فى أكثر الحالات لم يؤدوا الله ركعة منذ سنين

وتاريخ الاستعمار الأوربى فى آسيا وأفريقيا شاهد على تفضيل المستعمر للعناصر التى تدين بعقيدته الدينية أو تمت إليها

---

١ — J. Underwood, Worship.

بصلة فى مسائل التوظيف والمشورة والائتمان على السر، وقد لا يكون الدافع لهذا السلوك سياسة مرسومة بقدر ما هو توافق فى الاختبار الروحى وحدة فى السلوك الجماعى بين الطرفين (١)

واقتصار السلوك الدينى على الفرد وعلاقته بالله شئ لن يتم منعزلا عن الحياة الاجتماعية فالحياة الوجدانية لا مفر لها من أن تعبر عن نفسها فى المجتمع الذى تعيش فيه (٢)

والرأى فى اختباره للحياة الدينية منفرداً قد يصمت صمتا طويلا قبل أن يعبر عنها فى الحياة الاجتماعية ويشارك أهل ملته فى سلوكهم الدينى الجماعى . ولكن لا مفر له عاجلا أو آجلا من المشاركة فى هذا السلوك

فطبيعة الاختبار الدينى عند الفرد يستوجب صياغة مقوماته الخلقية والعاطفية صياغة تماثل وتتحد وتتفق مع المقومات الخلقية التى تشوب بقية أعضاء الجماعة الدينية التى تختبر مثل ما يختبر . وهذه الصياغة لا تقتصر على توجيه الفكر والوجدان فحسب، بل تشمل أيضا الحياة العملية والنشاط الاجتماعى

ولقد عالج هيجل أحد دعائم الفكر الغربى الحديث هذه الناحية الدينية فى مقدرة فائقة (٣) فتأثر بأن لكل عقيدة دينية «روحاً» تنفرد بها عن بقية العقائد ، ومرجع ذلك إلى أن السلوك الدينى هو عنصر من أهم مقومات الخلق القومى . وامل رسوخ الإسلام وتعاليمه فى عقليات الشعوب التى دانت به وأثر هذه التعاليم ومبلغ نفاذها إلى صميم الحياة الروحية والاجتماعية لتلك الشعوب على اختلاف حكوماتها الخلقية من عربية وفارسية وهندية وصينية هو الذى خلق هذه الحضارة الإسلامية التى تعرف إلى الآن بها شعوب الإسلام على اختلاف لغاتها وبيانها وظروفها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والقول بأن الاختبار الدينى يمكن أن ينحصر فى السلوك الفردى تنفيه حقيقة أخرى ؛ وهى أن كل دين من الأديان

(١) فى كتاب ولبورت أستاذ علم النفس الاجتماعى فى جامعة هارفارد أضواء علمية على هذه الحقيقة البيكولوجية

J. W. Allport, The Individual and his Religion

2, J. Wach, Sociology of Religion

3. Hegel, philosophy of Religion

الكبرى يبشر بوحدة اجتماعية عالمية تنطوى على توجيه السلوك الإنسانى فى شتى نواحيه توجيها يتفق والأسس الجوهرية لتعاليم ذلك الدين . وهذه الوحدة الاجتماعية العالمية التى يدعو إليها الدين نصا وروحا وإن كانت لا تتحدى تحدياً مباشراً الإيديولوجيات الاجتماعية الأخرى التى تدعو لها الأديان الأخرى، إلا أنها تقف منها موقفا أقل ما فيه أنه سامى من النوع المشحون بعوامل الانفجار كما قال جورج ميد المفكر الأمريكى الشهير (١) والتاريخ على الأخص ـ تاريخ الحروب الدينية ـ . ملئ بالشواهد على هذا الصراع السامى الذى يؤدى فيه الدين دورا خطيرا عند الضرورة

ومهما أحسن المجتهدون فى تعليل سماحة الأديان التى ينتمون إليها فإن اجتهادهم يكاد ينحصر فيما عبر عنه (ماكس ديبر) تعبيراً جامعاً حين قال : ـ

«إن اختبار الجماعات الدينية ينظر إلى العالم بمنظارين، وأحدهما يرى فيه الألوهية والقداسة، والآخر يرى فيه الأشياء وطبائعها المادية، ولو توفرت «التقوى» وحدة الاختبار الدينى عند جماعة ما ونظرت إلى العالم ـ على تنوع أديانه وتشعب جماعاته الدينية ـ نظرة ملؤها التفاؤل والبشر والسماحة والرضا ، إلا فان مثل هذا التسامح فى رأى الوعى الباطن على الأقل لدى تلك الجماعة محصور ومقيد ومقصور عليها (على تلك الجماعة) وعلى العقيدة والسلوك الدينى الذى تمتثل له (٢)

وهذا التسامح السامى قد يتخذ فى بعض الأديان لونا رقيقاً ويأسف لضلال الكافرين ويطلب المغفرة لهم . وقد يتخذ لونا عنيفاً فلا يرى فى ذلك الضلال إلا كفرا وزندقة رسولها الشيطان ودستورها الإلحاد ودعوتها الفساد

وفى كلتا الحالتين فإن العالم ميدان لهذا الصراع. وسواء كان الصراع لرد الكافرين عن ضلالهم أو للحيلولة بين ذلك الضلال وبين أن يمس كيان الجماعة الدينية « المؤمنة » فإنه صراع على كل حال، ومهما كان سلبيا فإن الاحتكاك المباشر منطو فى ثناياه

وعلى سبيل المثال ـ ومع مراعاة التفرقة الجوهرية بين العقائد

1. G. Mead, Mind, Self and Society

2. Max weber, The theory of Social and Economic organization

الدينية والنظم الفكرية — فإننا نستطيع أن نستشهد بحاضر الصراع بين المذاهب الفكرية والمعاصرة بين الاشتراكية السوفييتية والديمقراطية الغربية

فالاشتراكية — وهي بمثابة العقيدة الدينية لأتباعها — لا ترى في خصومها من دول أوروبا وأمريكا إلا ضلالا وشرا. وهذه الدول بدورها ترى في الاشتراكية الماركسية تحديا للأسس المسيحية التي بنيت عليها حضارة ديمقراطيات الغرب(١) فوق أنه تحد للنظم الاقتصادية والسياسية التي تعيش في ظلال الديمقراطيات. وإطالما ادعى أقطاب كلتا الكتلتين السوفييتية والغربية أن في العالم مقدسا لكليهما، وقد يكون في مثل هذا الدعاء صدق وإخلاص إلا أن طبيعة الصراع السلبي بينهما تدفعهما دفعاً إلى الاحتكاك المسلح على النحو الذي نعلمه جميعاً

وقوة هذا الصراع السلبي بين الجماعات الدينية المتباينة عقائدها وضعفه يتوقفان إلى حد كبير على مبلغ ما تعلمه بعض تلك الجماعات عن عقائد بعض، والمرء كما قال الحكماء عدو لما يجهل

فالإسلام وأهله مثلا يفخرون بأنه دين التسامح؟ وفي القرآن والأحاديث نصوص بينة على تأصل هذا التسامح في التعاليم الإسلامية، ولكن الميزة الكبرى في الإسلام أنه يشرح في صميم القرآن والحديث والاجتهاد بعض الأسس الجوهرية لليهودية والمسيحية ويعترف ببعض مزاياها وفي طليعتها مزية التوحيد. ويعترف الإسلام كذلك بأنه جاء متمماً لا ناسخا لتعاليم إبراهيم وموسى وعيسى والمسلم يقرأ الصلاة والسلام على الأنبياء والرسل الذين سبقوا النبي العربي. ويخيل إليك وأنت تقرأ ما جاء به القرآن والحديث في هذا الصدد وما سجله المجتهدون المسلمون من بحوث في الإسرائيليات (والنصرانيات) أن هناك رنة أسف يستشعر بها الإسلام نحو الموحدين بالله الذين ضلوا تعاليم موسى وعيسى واستعاضوا عنها بأمور لا يعترف الإسلام بأنها من أصول تلك التعاليم. فهذا الرفق الذي عالج به الإسلام الديانات الأخرى هو من أهم الدوافع لهذا التسامح

والحديث عن هذا الصراع السلبي بين العقائد الدينية يستدعي الإشارة إلى موقف تلك التعاليم من الحروب. ولقد أساء البعض إلى العقيدة الإسلامية بأنها ترضى عن الحرب وتشترع الجهاد. وقد رد المحدثون من علماء الإسلام العرب على هذا الادعاء ردا معززاً بالدساتير القرآنية والأدلة التاريخية، وعالج هذا الموضوع كذلك بعض أئمة المسلمين في الهند والباكستان والعالم العربي معالجة علمية متينة (١)

ولكن الذي يعنينا من هذه الإشارة أن تشريع الجهاد في الإسلام مقيد بظروف وملابسات لا تختلف مطلقاً عن تلك التي شرعتها اليهودية والمسيحية نصا وروحا، وذلك باعتراف التعاليم المسيحية نفسها وعلى ضوء اجتهاد بعض قادة الفكر المسيحي معاصرة وقديمة (٢)

وليس المهم أن نبرر تشريع الجهاد في الأديان فذلك التبرير يجب ألا يكون على أساس فلسفة الدين فحسب، بل على أسس من علم النفس الاجتماعي. وتشريع الجهاد ينطبق وروح الجماعات الدينية ويجري مع سلوكها الجماعي ومع طبيعة العوامل النفسانية (السيكولوجية) التي تصوغ تفكيرها واتجاهاتها وأوضاعها الدنيوية

والجهاد لا يجد سبيله إلى سلوك الجماعة الدينية إلا إذا تعرضت عقيدتها الدينية إلى الخطر الداهم أو إذا تعرض كيانها الاجتماعي (وهو يشمل المصلحة السياسية والقومية والاقتصادية)

(١) يكثر استعمال كلمة الحضارة المسيحية في تصريحات الساسة وقادة الفكر في أوروبا وأمريكا في معرض انتقادهم شيوعية السوفييت ويلاحظ كذلك التبرك بالمسيحية في الأسماء التي يطلقها بعض الجماعات السياسية في الغرب على الأحزاب السياسية كحزب الديمقراطيين المسيحيين في بلجيكا وألمانيا وحزب الاشتراكيين المسيحيين في إيطاليا وغيرهم
٣٤ . ٣٦

(١) راجع أمثال
Dr, Hamidulla, Muslim Conduct of State
H K, Sherwani Muslim Political Thought
A. Majl The Causes of war aniro Remedi Thought Islam

(٢) راجع
Irochlet Social teachings of Christain Churches
W r lage Christian Ethics and Modern problems
وقد استشهد ماكس فير بطائفة من الدساتير المسيحية واليهودية لإثبات هذه الحقيقة

إلى الاضطهاد والمذلة . وهذا مثل آخر على تأصل الوظيفة الاجتماعية للدين في السلوك الإنساني

فمسلمو شمالي أفريقيا والشرق العربي في هذه الأيام في حالة جهاد وإن عجزوا عن حمل السلاح لأسباب قاهرة . فالخطر هناك لا يقتصر على تعريض الكيان الاجتماعي لمسلمي الجزائر ومراكش وتونس إلى خطر الانهيار والزوال ، وإنما يمس صميم التعاليم الدينية وجوهر العقيدة المحمدية

ولقد أدرك الفرنسيون الوظيفة الاجتماعية للدين الإسلامي في سعيهم لفرنسة مسلمي شمالي أفريقيا فلم يتقيدوا بأساليب الاستعمار التقليدية التي توجه كفاحها الأكبر ضد الوعي السياسي والنضوج الاقتصادي ، وإنما عملوا على النيل من صميم العقيدة والتعاليم الدينية المسلمين هناك لعلمهم بأن الإسلام وهو دين عملي لابد وأن يوفر لحركة التحرر الوطني ذخيرة قوية تحارب بها ذلك الاستعمار . وغزوة الصهيونيين لفلسطين لم تتم لو لم تشترع القيادة الصهيونية العليا « الجهاد » في أدق وأوسع معانيه (١)

وليس المقام هنا لبحث علاقة الدين بالقوميات والإصلاح السياسي — فكاتب هذه السطور يأمل أن يستطيع التفرغ لدراسته عما قريب — وإنما ضربنا المثل به هنا للدلالة على أن العقائد الدينية في تشريعها للجهاد والحرب إنما تفعل ذلك دفاعا عن كيانها الديني ووظيفته الاجتماعية . وهي والحالة هذه لا تحتاج إلى تبرير أو اعتذار وشأنها في ذلك شأن أي جماعة من الجماعات الإنسانية الأخرى — السياسية والاقتصادية والإيديولوجية أيضا — التي تعلن الجهاد في أنواعه المتعددة مسلحا وغير مسلح دفاعا عن مصالحها ومبادئها وكيانها

فالحرب من طبائع الحياة سواء أرضينا بها أم كرهنا ، ومهما سعينا إلى إزالتها ومعالجة أسبابها ونتائجها ، إلا أن ذلك لا يحول بيننا وبين إيضاح علاقة الدين بها على أسس لا تستند إلى التزوير بقدر ما تستند إلى طبيعة الحقائق الاجتماعية

وخلاصة القول في هذه الوظيفة السلبية للجماعة الدينية أنها تؤثر — خيراً أو شرا — في التكافل الاجتماعي « العالمي » وذلك يتوقف إلى حد كبير على مبلغ ما تستوعبه تلك الجماعة من معرفة منزهة عن الأهواء لتعاليم الديانات الأخرى وبمقدار ما يتضمنه دستورها الديني من أسانيد فيها دعوة صادقة إلى التسامح كما هو الحال في عقيدة الإسلام وتعاليمه

* * *

وبعد فهذه الفصول كانت معالجة مشوشة لبعض وظائف الدين الاجتماعية . ويأمل كاتب هذه السطور أن يستعرض في مناسبات قادمة إن شاء الله ألوانا أخرى من علاقة الدين بالحياة اليومية في أسلوب أدق ترتيبا وأوسع استيعابا

نيويورك « تم البحث » عمر عليوه

(١) لم تكن دعوة « الحرب » التي شنتها اليهودية العالمية على فلسطين في عام ١٩٤٧ / ٤٨ مجرد نداء وجه ليهود فلسطين الذين هاجروا إليها تحت أسنة الحراب البريطانية منذ أن فتح الجنرال ألنبي بيت المقدس وإنما كانت دعوة « جهاد » تطوع للحرب والقتال فيه ألوف الجنود والطيارين من يهود أمريكا وأوروبا الذين تدربوا في الحربين العالميتين الأخيرتين ولم تقتصر دعوة الحرب اليهودية هذه على جمع المال وتوجيه الضغط السياسي على واشنطون ولندن وموسكو وإنما شملت نداءات علنية في المعابد اليهودية وفي الأحياء اليهودية تولى نشرها الحاخامون من جميع الفرق اليهودية — المجددة والمقلدة ، لأن حرب الصهيونية في فلسطين في زعمهم تحقيق لنبوءة العهد القديم في عودة اليهود إلى أرض الميعاد ومن ثم إزالة ما يعترض اليهودية من نظم وعقائد منافية لها ليتسنى لشعب إسرائيل السيطرة على العالم الذي يحيط به

تاريخ الأدب العربي

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل ، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع اثنتي عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد